وراء، بالرَّفع. فَسَفِهَ على شيخنا تاجِ الدين. فقال له: يا مدَّعي، أنت تكتب: وَكَتَبَ ذو النَّسبين بين دِحية والحسين.ودِحية بإجماعِ المحدِّثين ما أعقب، فقد كذبتَ في نسبك.

[قلت: والصَّحيح مع تاج الدين[1]، وقد ذكرها الجوهري، فقال: وراء بمعنى خلف، وقد يكون بمعنى قدام، وهو من الأضداد، وأنشد: [من الطويل]

إذا أنا لم أُوْمَنْ عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراءُ وراءُ][2]

السنة الرَّابعة والثلاثون وست مئة

فيها نزل التتر على إِرْبل بالفارس والرَّاجل، وحاصروها مُدَّة، ونصبوا عليها المجانيق، ونقبوا سورها، ودخلوها عَنْوةً، وقتلوا كلَّ مَنْ فيها، وَسَبْوا وفضحوا البنات، وأخذوا الأموال، وصارتِ الآبار والدُّور قبورَ أهلها، ونتنت المدينة من كَثْرة الجيف، وكان بادكين مملوك الخليفة في القلعة، فقاتلهم، ونقبوا القلعة، وجعلوها أسراباً وطرقاً، وقلَّت عندهم المياه، وماتَ بعضُهم عطشاً، ولم يبق سوى أخذها فمنَّ الله على من بقي من أهلها، فرحلوا عنها في ذي الحِجَّة، وقد عَجَزوا عن حَمْل ما أخذوا من الأموال والغنائم، ثم هرب بعد ذلك بادكين إلى بغداد.

وفيها استخدم الصَّالحُ أيوب الخُوارَزْميةَ الذين بقوا من أصحاب جلال الدِّين، فانضمُّوا إليه، وانفصلوا عن الرُّومي.

وفيها بَدَتِ الوَحْشة بين الكامل والأشرف، وسببه أَنَّ الأشرف طلبَ منه الرَّقَّة، وقال: الشَّرْق قد صار له، وأنا أطلب كل يوم في خِدْمته، فتكون هذه برسم عليق دوابي. وجعل الفلك ابن المسيري واسطةً، فكتب الفلك إلى الكامل يخبره، فكتب الكامل إلى الفلك كتاباً غليظاً شنيعاً. وكان الكامل لما عَزَمَ على أَخْذِ الرُّوم قال أسد

---

(١) عقب أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٧ ، بقوله: أما اللفظان المتنازع فيهما، فرأيت في «أمالي» أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيهما، والجر أيضاً .

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الدِّين للأشرف: متى أخذ الرُّوم نبقى بين يديه يقلِّبُنا كيف شاء، واتفقا عليه، ولما عاد من الرُّوم إلى دمشق فهم الكامل ذلك، فخاف، وعجَّل الرَّواح إلى مِصْر، فبعث إليه الأشرف يقول: أخذت مني الشَّرْق، وقد افتقرتُ بهذه البواكير، ودمشق فبستان مالي فيها شيء. فبعث إليه الكامل عشرة آلاف دينار، فردَّها، وقال: أنا أدفع هذه لأميرين! فغَضِبَ الكاملُ، وقال: أيش يعمل بالمُلْك؟ تكفيه عشرته للمغاني، وتعلمه لصناعتهم. فتنمَّرَ عليه الأشرف، وقال: والله لأُعَرِّفَنَّه قَدْرَه. وأرسل إلى حلب وحماة وبلاد الشَّرْق، وقال: قد عَرَفْتُم بُخْلَ الكامل، وطمعه في البلاد. فحلفوا واتفقوا، ولما وَصَلَ الكامل إلى قلعة القاهرة باسَ العتبة، وقال: رأيتُ روحي في قلعتي.

فلما مات الأشرف [في سنة خمس وثلاثين وست مئة][1] قال: والله لو لم يمت لراحت البلاد منَّا. فقيل له: لك من باب المَوْصل إلى اليمن، فأيش تلتفت عليه؟! فقال: اسكتوا، كان كريماً، والكرم ما معه حديث.

وكان النَّاصر قد اتفق مع الأشرف، ثم انحرف عنه، ومضى إلى الكامل.

وفيها توفي

النَّاصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهَّاب، الحنبلي[2]

ولد بدمشق، ونشأ بها، وقرأ القرآن، وقدم بغداد فتفقَّه على أبي الفَتْح بن المَنِّي، وسمع الحديث من شُهْدة وطبقتها، وعاد إلى دمشق، ووعظ، وصنَّف الكتب، [ورأيت بخط ابنه فهرسة تصانيفه: «الإنجاد في الجهاد»، و«المقامة الدمشقية»، و«الإجماع والنص والقياس في فضائل بني العباس»، و«المزوق في التفسير»، و«الفروق في اللغة»، و«الحدائق في الوعظ والجدل والأقيسة والخطب»، و«شرح أسماء الله تعالى»، و«أسباب الحديث»، و«مختارات من المسند والبخاري ومسلم»، وغير ذلك.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٢٩ـ٤٣٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٦-٣٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وقد ذكرنا ما جرى بينه وبين العادل في فتح باب الفراديس، وسفر الناصح إلى حلب، وإقامته حتى مات العادل، وعاد إلى دمشق][1]، ودرَّس بمدرسة ربيعة خاتون في الجبل، وكان يعظ في الأحايين، [وقد حضر مجالسي بحلب ودمشق، وكان قد جرى بيني وبين الأشرف بسبب الناصر، وجلوسي ذلك المجلس الذي ذكرت فيه القدس وحشة، ولما أخذ الأشرف دمشق لزمت زاويتي، ولم اجتمع به حياء منه، لأنه كان أحسن إليَّ إحساناً كثيراً، وتفضَّل علي فضلاً غزيراً، وفوَّض إليَّ جميع الخوانك التي ببلاده شرقاً وغرباً، وبُعْداً وقرباً، وجهزني إلى الحج على طريق العراق، فسرت عارفاً بإحسانه وجميله، وأقام لي سبيلاً مثل سبيله، ولما دخل دمشق، وانقطعتُ عنه صَعِدَ الناصح إلى القلعة، وسأل الأشرف أن يجلس بجامع دمشق، وذلك عقب جلوسي في نوبة القدس، وقال الناصح: أريد أذكر فضائل السلطان، وما أولى الناس من العدل. وكان مقصوده أن يأتي بعكس ما أتيت به ليتقدم عند الأشرف، ثم قال: وأريد السلطان يحضر عندي. فقال: أنا اشتغالي كثير، بلى السلطان الصالح إسماعيل يحضر عندك وعماد الدين بن موسك. وجلس بباب المشهد في المكان الذي يجلس فيه الصالح والعماد في القُبَّة، وشرع في الكلام وبالغ، وقال وأطال، ولم يخشع قلب، ولم تدمع عين، ووقع في شمل المجلس الشتات والبين، وكان من عادتي يوم الخميس أن لا أنزل حتى تصل الشمس إلى المنبر، وقد ألف الناس ذلك، فهم به أخبر، فقال عماد الدين للصالح: متى تنزل إلى موضعها؟ فقال الصالح: الشمس ترديه. وقاموا، وحكوا للأشرف صورة المجلس، فأعجبه جواب الصالح، وقال: والله صدقت.

وحضر يوماً عند الأشرف فقال: قد ذكرت في «كتاب الجهاد» أنه ما اجتمع ألف من الأنصار في جيش إلا ونصر. فقال الأشرف: فقد خرج يوم أحد مع النبي ﷺ ألف من الأنصار، وجرى ما جرى!

قلت: ما حضر يوم أحد ألف من الأنصار، لأن الصحابة كانوا ست مئة، فيهم مهاجرون وأنصار، وكيف يكونون ألفاً!][1].

وكانت وفاته غُرَّة المحرم، ودفن بقاسيون.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

القاضي التكريتي، واسمه عبد الرَّحمن[١]

ولي ديوان المعظم بالقُدْس، ثم ولي قضاء الكَرَك، وكان قد دَرَّس بمدرسة الزبداني، فلما أُخذ وَقْفُها عاد إلى القُدْس، ثم عاد إلى دمشق لما أخذها الأشرف، فناب بها عن القضاة، وتوفي بها، ودفن بقاسيون، وكان فاضلاً، نَزِهاً، عفيفاً.

الشِّهاب أحمد، الأمير[٢]

كان شجاعاً، جَوَاداً، كَيِّساً، متواضعاً، حَسَنَ المحضر، من خواصِّ الكامل وأرباب سِرِّه.

الشجاع علي ابن إيداش بن السَّلَّار، أمير الحاج[٣]

حجَّ بالنَّاس نيفاً وعشرين حجة، وكان صالحاً، سخيًّا، عابداً، صاحب أوراد، كريم النفس، حسنَ الأخلاق، [وكان يحضر مجالسي، فيبكي من أول المجلس إلى آخره][٤]، وكان المعظَّم يحبه ويحترمه، ويعتمد عليه.

[ذِكْرُ وفاته][٤]:

وكان مقيماً بالكَرَك عند النَّاصر، فنقل الحُسَّاد عنه ما لا يليق، فأحضره النَّاصر، وأحضر شمس الدين قاضي نابُلُس، وأسمع الشُّجاع كلاماً خشناً، وقال: قلتَ عني كذا وكذا؟ فأنكر، فقال القاضي للنَّاصر: يا مولانا، شجاع الدين ما يُفَرَّط فيه، وقد كان له عند المعظم المكانة الرفيعة، وما يحسن هذا بك.

[٥]وكنت يومئذ بدمشق، فقدم دمشق، وجاء إلى عندي، وحكى لي صورة ما جرى، فقلت له: هو عندك مثل الولد. فقال:] والله ما قلتُ إلا أَنَّه يقرأ المنطق، والفقه

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٥١ـ٤٥٢، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣٤هـ)، وهو عبد الرَّحمن بن حمدان.

(٢) هو أحمد بن خضر، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٥٠، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٤هـ)، وذكر الذهبي أنه توفي بالقاهرة.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٥٢، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٣٤هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (ش).

(٥) في (ح): وقدم دمشق، وقال...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

أَوْلى، مثلما كان أبوه. و[بعد يومين][1] مرض، فأصابه ذَرَبٌ عظيم، فرمى كبده قطعاً، ومات بعد ثمانية أيام من قدومه دمشق، وذلك في جُمادى الآخرة، ودفن بقاسيون.

الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب[2]

ولد في ذي الحجة سنة تسع أو عشر وست مئة[3]، وتوفي والده وهو طفل، ونشأ تحت حَجْر شهاب الدِّين الخادم، فرتَّب أموره أحسن ترتيب، وقام بدولته [القيام العجيب][1] إلى أن ترعرع في سنة تسعٍ وعشرين، فاستقلَّ بالأمر، وفكَّ عن نفسه الحَجْر، وتوفي بحلب، ودفن في القلعة، وكان حسنَ الصُّورة، كريماً، عفيفاً، ولم يبلغ أربعاً وعشرين سنة، وحكى الحلبيون أن أحواله تغيَّرت، [وأقاموا ولده الملك الناصر يوسف بعده][1].

كَيْقُباذ، علاء الدين، صاحب الروم[4]

كان عاقلاً، شجاعاً، ميمون النقيبة، كَسَر الخُوارَزْمي، وعسكر الكامل، واستولى على بلاد الشرق، وزوَّجه العادل ابنته، وأولدها، وكان عادلاً، مُنْصفاً، مهيباً، ما وَقَفَ له مظلوم إلا وكشف ظُلامتَهُ، وتوفي في شوَّال.

الكمال بن مهاجر[5]

كان كثيرَ المال والصَّدقات والخير، مات بدمشق في جُمادى الأولى فجأة، ودُفِنَ بقاسيون، وأخذ الأشرف جميعَ ما وجد له بدمشق مما تبلغ قيمته ثلاث مئة ألف دينار، [أراني الأشرف][1] من ذلك سبحة [فيها][1] مئة حبة مثل بيض الحَمَام.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٠ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) الصحيح في ولادته أنها كانت في ٥ ذي الحجة سنة (٦١٠هـ)، انظر «مفرج الكروب»: ٣/ ٢٢٠.

(٤) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٤٠ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) هو محمد بن علي بن مهاجر، كمال الدين، له ترجمة في «تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٣٤هـ).